الوارث

ذوالحجة ١٤٣٠ هـ
كانون الأول ٢٠٠٩م العدد ١٤

نشرة شهرية تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

عيد سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

صفحات الوارث

الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الألكتروني
محمد رزاق صالح
كرار عبدالأمير السلامي

التصميم
السيد علي ماميثة

الإخراج الفني
أحمد محسن المؤذن

تنفيذ
مطبعة دار الضياء

١	غدير خم، الحدث الخالد
٢	قطوف دانية من السيرة الحسينية / نصرة الملائكة للأئمة عليهم السلام - الحلقة الثانية
٤	في رحاب علوم القرآن / آخر ما نزل من القرآن
٦	على ضفاف نهج البلاغة / المبادئ التربوية في نهج البلاغة - القسم الثالث: من تربية النفس
٨	محطات ثقافية / تعريف الإبداع
١٠	أخلاقك هويتك / حكمة الابتلاءات
١٢	مباحث عقائدية / سلسلة مباحث التوحيد / مبحث إثبات التوحيد وأقسامه / القسم الثاني
١٤	عبرٌ من التاريخ / عجيبة في: من حفر بئراً لأخيه فقد وقع فيها
١٥	معاجز أهل البيت عليهم السلام وكراماتهم / من معاجز فاطمة الزهراء عليها السلام
١٦	أعلام الشيعة / بريد بن معاوية العجلي من أوتاد الأرض وأعلام الدين
١٨	شؤون الأسرة / أسس الحوار مع الطفل - الحلقة الثالثة
٢٢	معارف عامة / عجائب القمر - الحلقة الأولى

الوارث

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
- وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩ - ١٢١١

العتبة الحسينية المقدسة
الأمانة العامة

هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email: info@imamhussain-lib.org

غدير خم
الحدث الخالد

بعد أن أكمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فرض الحج، خرج من مكة متجها صوب المدينة، واستمر ركب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسير نحو المدينة حتى بلغ غدير خم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام، فنزل عليه جبرائيل وأمره أن يبلغ للأمة إمامة علي (عليه السلام) من بعده، فنزل بقوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ). فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا رب إنما أنا واحد كيف أصنع يجتمع عليّ الناس)[1]. فأنزل الله سبحانه وتعالى: (وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ). فعرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الأمر بالتبليغ عزيمة من الله لا رخصة فيه، فتوجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الله مخاطبا: (ان قومي قريبو عهد بالجاهلية وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلا وتره وليهم ـ يقصد بذلك عليا عليه السلام ـ وإني أخاف)[2]. فأنزل الله سبحانه: (وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ).

فبعد أن أنزل الله سبحانه على نبيه العصمة، أمر بإرجاع من تقدم عليه من الناس وانتظر وصول من تأخر عنه، وأمر بدوحات كانت هناك فقممن، وصنع له منبرا من أحداج الإبل وجعل ينتظر اجتماع الناس إليه، إلا ان بعض القبائل والتجمعات حاولت وبشتى الوسائل أن تتفلت من دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لها بالعودة إلى غدير خم. ولم يعودوا إلا حين أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا (عليه السلام) بإرجاعهم وجمعهم، فلما علم القوم ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مصر على إبلاغ الناس وإتمام الحجة عليهم وان هذا الإبلاغ قد تكفل الله بإتمامه وتيقنوا بان الوقوف بوجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرة أخرى ومنعه من تنصيب علي (عليه السلام) سيؤدي بهم إلى المواجهة السافرة والتي قد تؤدي إلى وقوع حرب حقيقية بينهم وبين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ما سيؤدي بهم إلى الهزيمة لان الله تكفل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالعصمة والنصر، فرجعوا إلى غدير خم وهم مكرهون.

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: (إن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» نزل بخم، فتنحى الناس عنه، فشق على النبي تأخر الناس عنه، فأمر عليا فجمعهم، فلما اجتمعوا قام فيهم متوسدا يد علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس انه قد كرهت تخلفكم عني، حتى خيل إلي انه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني)[3]. وفي رواية ثانية أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) خاطبهم بقوله: (ما بال شق الشجرة التي تلي رسول الله أبغض إليكم من الشق الآخر)[4].

الوصية الخالدة

بعد أن اجتمع الناس نادى منادي النبي بالصلاة جامعة، وكان ذلك في وقت الضحى في شدة من الحر، فقام (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد الصلاة تحت شجرة كانت هناك وقد ظللوا له بثوب من حرارة الشمس، فصعد (صلى الله عليه وآله وسلم) المنبر وخطب تلك الخطبة التي تناقلتها عنه الألسن فطارت في جميع أنحاء المملكة الإسلامية، فرفع (صلى الله عليه وآله وسلم) صوته وقال في ضمن خطبة طويلة: (...أيها الناس ان الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه...واني سائلكم حين تردون، عن الثقلين كيف تخلفوني فيهما. الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي فانه نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا علي الحوض)[5].

---

١. الدر المنثور لجلال الدين السيوطي ج٢ ص٢٩٨.
٢. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ج١٤ ص٣٨.
٣. إقبال الأعمال للسيد بن طاووس ج٢ ص٢٤٨.
٤. صحيح ابن حبان ج١ ص٤٤٤.
٥. المعجم الكبير للطبراني ج٣ ص١٨١.

نصرة الملائكة للأئمة عليهم السلام

الحلقة الثانية

كان قد ذُكر في الحلقة الأولى قول ابن صوريا في عدائه لجبرائيل عليه السلام وقوله: وميكائيل عدو جبرائيل فقال سلمان: يا ابن صوريا بهذا العقل المسلوك به غير سبيله ضللتم، أرأيتم أوائلكم كيف بعثوا من يقتل بخت نصر، وقد أخبر الله تعالى في كتبه وعلى ألسنة رسله أنه يملك ويخرب بيت المقدس؟ أرادوا تكذيب أنبياء الله تعالى في أخبارهم واتهموهم في أخبارهم، أو صدقوهم في الخبر عن الله ومع ذلك أرادوا مغالبة الله؟ هل كان هؤلاء ومن وجهوه إلا كفارا بالله؟ وأي عداوة تجوز أن يعتقد لجبرائيل وهو يصد عن مغالبة الله عز وجل وينهى عن تكذيب خبر الله تعالى؟ فقال ابن صوريا: قد كان الله تعالى أخبر بذلك على ألسن أنبيائه، لكنه يمحوما يشاء ويثبت. قال سلمان: فإذاً لا تثقوا بشيء مما في التوراة من الأخبار عما مضى، وما يستأنف، فإن الله يمحوما يشاء ويثبت، وإذاً لعل الله قد كان عزل موسى وهارون عن النبوة وأبطلا في دعوتهما، لأن الله يمحوما يشاء ويثبت، ولعل كل ما أخبراكم أنه يكون، لا يكون، وما أخبراكم أنه لا يكون، يكون، وكذلك ما أخبراكم عما كان لعله لم يكن، وما أخبراكم أنه لم يكن لعله كان، ولعل ما وعده من الثواب يمحوه، ولعل ما توعد به من العقاب يمحوه، فإنه يمحوما يشاء ويثبت، إنكم جهلتم معنى يمحوالله ما يشاء ويثبت، فلذلكم أنتم بالله كافرون، ولإخباره عن الغيوب مكذبون، وعن دين الله منسلخون. ثم قال سلمان: فإني أشهد أن من كان عدوا لجبرائيل فإنه عدو لميكائيل، وأنهما جميعا عدوان لمن عاداهما، سلمان لمن سالمهما، فأنزل الله تعالى عند ذلك موافقا لقول سلمان رحمة الله عليه: (قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ) في مظاهرته لأولياء الله على أعدائه، ونزوله بفضائل علي ولي الله من عند الله (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ)، فإن جبرائيل نزل هذا القرآن (عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ) وأمره (مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) من سائر كتب الله (وَهُدًى) من الضلالة (وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وولاية علي ومن بعده من الأئمة بأنهم أولياء الله حقا إذا ماتوا على موالاتهم لمحمد وعلي وآلهما الطيبين. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا سلمان! إن الله صدق قيلك، ووفق رأيك، فإن جبرئيل عن الله يقول: يا محمد! إن سلمان والمقداد أخوان متصافيان في ودادك ووداد علي أخيك ووصيك وصفيك، وهما في أصحابك كجبرائيل وميكائيل في الملائكة، عدوان لمن أبغض أحدهما، وليان لمن والاهما ووالى محمدا وعليا، عدوان لمن عادى محمدا وعليا وأولياءهما، ولو أحب أهل الأرض سلمان والمقداد كما تحبهما ملائكة السماوات والحجب والكرسي والعرش لمحض ودادهما لمحمد وعلي وموالاتهما لأوليائهما ومعاداتهما لأعدائهما لما عذب الله تعالى أحدا منهم بعذاب ألبتة. قال الحسين بن علي عليهما السلام: فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: لست هناك وأنت في خير وإلى خير، فانقطع عنها طمع البشر، وكان جبرائيل معهم، فقال: يا رسول الله! وأنا سادسكم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نعم، [و] أنت سادسنا، فارتقى السماوات وقد كساه الله من زيادة الأنوار ما كادت الملائكة لا تثبته حتى قال: بخ بخ من مثلي؟ أنا جبرائيل سادس محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فذلك ما فضل الله به جبرائيل على سائر الملائكة في الأرضين والسماوات. قال: ثم تناول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بيمينه والحسين بشماله فوضع هذا على كاهله الأيمن، وهذا على كاهله الأيسر، ثم وضعهما في الأرض، فمشى بعضهما إلى بعض يتجاذبان، ثم اصطرعا، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول للحسن: أيها أبا محمد! فيقوي الحسن فيكاد يغلب الحسين، ثم يقوي الحسين فيقاومه، فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله! أتشجع الكبير على الصغير؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا فاطمة! أما إن جبرائيل وميكائيل كلما قلت للحسن: أيها أبا محمد! قالا للحسين: أيها أبا عبد الله! فلذلك قاما وتساويا، أما إن الحسن والحسين لما كان يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أيها، أبا محمد! ويقول جبرائيل: أيها، أبا عبد الله! لورام كل واحد منهما حمل الأرض بما عليها من جبالها وبحارها وتلالها وسائر ما على ظهرها لكان أخف عليهما من شعرة على أبدانهما، وإنما تقاوما لأن كل واحد منهما نظير الآخر، هذان قرتا عيني، وثمرتا فؤادي، هذان سندا ظهري، هذان سيدا شباب أهل الجنة من الأولين والآخرين، وأبوهما خير منهما، وجدهما رسول الله خيرهم أجمعين. قال عليه السلام: فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قالت اليهود والنواصب: إلى الآن كنا نبغض جبرائيل وحده، والآن قد صرنا أيضا نبغض ميكائيل، لادعائهما لمحمد وعلي إياهما ولولديه، فقال تعالى: (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ)[1].

---

١. بحار الأنوار: ٣٩: ١٠ ـ ١٠٨ حديث ١٢ لم يورد فيه من قوله «اما ما قاله اليهود» الى قوله «ثم قال رسول الله يا سلمان» وقال أوردنا تتمة الخبر في احتجاج الرسول على اليهود، تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٤٤٨ حديث ٢٩٦ وفيه عن الحسن عليه السلام بحار الأنوار: ج٩، ص ٢٨٩ حديث ٢، وفيه إلى قوله «بعذاب ابنته».

٢. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، ص٥٤٦ ـ ٥٤٩.

أولا: أشهر الروايات عند جمهور المسلمين أن آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

(ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا).

قال اليعقوبي: .. إن آخر ما نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم اليوم أكملت لكم دينكم.. الآية، قال وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة، وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بغدير خم[1].

قال السيوطي بسنده عن أبي هريرة: لما كان يوم غدير خم وهو يوم ثمانية عشر من ذي الحجة قال النبي: من كنت مولاه فعلي مولاه، فأنزل الله:

(ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ ...).

وفيه عن أبي سعيد الخدري قال: لما نصّب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً يوم غدير خم فنادى له بالولاية هبط جبرائيل عليه بهذه الآية:

(ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...).

وأخرج ابن جرير عن السديّ في قوله:

(ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)، قال: هذا نزل يوم عرفة فلم ينزل بعدها حرام ولا حلال ورجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمات، فقالت أسماء بنت عميس: حججتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك الحجّة فبينما نحن نسير إذ تجلّى له جبرائيل على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن فبركت فأتيته فسجيت عليه برداً كان عليّ.

وعن ابن جريج قال: مكث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدما نزلت هذه الآية إحدى وثمانين ليلة[2].

وفي التفسير الكبير قال: إنه لما نزلت هذه الآية ـ (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) ـ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعمر بعد نزولها إلاّ أحداً وثمانين يوماً، أو اثنين وثمانين يوماً ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا تبديل البتة، وكان ذلك جارياً مجرى إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قرب وفاته[3].

وذكر ابن المغازلي الشافعي بسنده إلى أبي هريرة قال: من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً وهو يوم غدير خم بها أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه أللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره فقال له عمر بن الخطاب بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن فأنزل الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم[4].

ثانيا: قيل إن آخر آية نزلت:

(وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ).

نزل بها جبرائيل وقال: (ضعها في رأس المائتين والثمانين من سورة البقرة)، وعاش الرسول بعدها أحد وعشرين يوماً، وقيل سبعة أيّام[5].

ثالثا: وروى السيوطي عن البراء بن عازب قال: آخر آية نزلت (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ)، النساء/ ١٧٦ وآخر سورة نزلت براءة[6].

وأخرج البخاري عن ابن عباس والبيهقي وأحمد بن ماجة وابن مردويه عن أبي سعيد الخدري عن عمر أنّ آخر آية نزلت آية الربا قوله تعالى:

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا).

رابعاً: أخرج النسائي عن ابن عباس وابن مردويه عن ابن عباس وابن جرير وابن أبي حاتم عن سعيد ابن جبير أنّ آخر آية نزلت هي[7]:

(وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ).

خامساً: في المستدرك عن أُبي بن كعب قال: آخر آية نزلت[8]:

(لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ).

سادسا: ورد من طرق العامة كما ورد من طرقنا الخاصّة إنّ آخر سور نزلت هي (إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ...) ولمّا قرأها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه فرحوا واستبشروا إلاّ العباس بن عبد المطلب إذ بكى لما سمعها، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ما يبكيك يا عم؟ قال: أظن أنه قد نعيت إليك نفسك يا رسول الله فقال: إنه لكما تقول فعاش بعدها سنتين[9].

ويؤكد ذلك السيوطي بسنده عن ابن عباس قال: آخر سورة نزلت إذا جاء نصر الله والفتح[10]، وعن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: أوّل سورة نزلت بسم الله الرحمن الرحيم (ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ...) وآخر سورة نزلت (إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ)[11].

سابعا: وقيل: إن آخر سورة نزلت هي (براءة) نزلت في السنة التاسعة بعد عام الفتح عند رجوع النبي من غزوة تبوك بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم آيات من أوّلها مع أبي بكر ثم نزل عليه الوحي أنه لا يبلغها إلاّ واحد من أهله فبعث علياً فأخذها من أبي بكر ليقرأها على ملأ من المشركين[12].

والذي ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام بشكل صحيح متواتر آية (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) آخر ما نزل من الآيات، وهو الراجح ولا عبرة بالروايات الأخرى التي هي أخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً، قال البيهقي: يجمع بين هذه الاختلافات ـ إن صحّت ـ بأن كل واحد أجاب بما عنده.

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: هذه الأقوال ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكل قاله بضرب من الاجتهاد وغلبه الظن، ويحتمل أن كلاً منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل، وغيره سمع منه بعد ذلك وإن لم يسمعه هو، ويحتمل أيضاً أن تنزل هذه الآية التي هي آخر آية تلاها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع آيات نزلت معها فيؤمر برسم ما نزل معها بعد رسم تلك، فيظن أنه آخر ما نزل في الترتيب[13][14].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٣٥.
(٢) الدر المنثور: ج٣، ص١٩.
(٣) تفسير الرازي: ج٣، ص١٩.
(٤) مناقب ابن المغازلي الشافي: ص١٩، ح٢٤.
(٥) تفسير شبر: ص٨٣.
(٦) صحيح البخاري، تفسير سورة النساء والإتقان: ج١، ص٨٦.
(٧) المستدرك على الصحيحين للحاكم، تفسير سورة التوبة، باب آخر ما نزل.
(٨) الإتقان: ج١، ص٨٦. مسند أحمد: ج١، ص٣٦. ابن ماجه باب التغليظ في الربا.
(٩) المجمع: ج١٠، ص٥٥٤. البرهان: ج١، ص٢٩.
(١٠) الإتقان: ج١، ص٢٧.
(١١) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٦. أصول الكافي: ج٢، ص٦٢٨، باب النوادر، ح٥.
(١٢) تفسير الصافي: ج١، ص٦٨٠.
(١٣) الإتقان: ج١، ص٨٩.
(١٤) الميسر في علوم القرآن، د. عبد الرسول الغفار: ص٦٧ـ٧٠.

القسم الثالث: من تربية النفس

المبادئ التربوية في نهج البلاغة

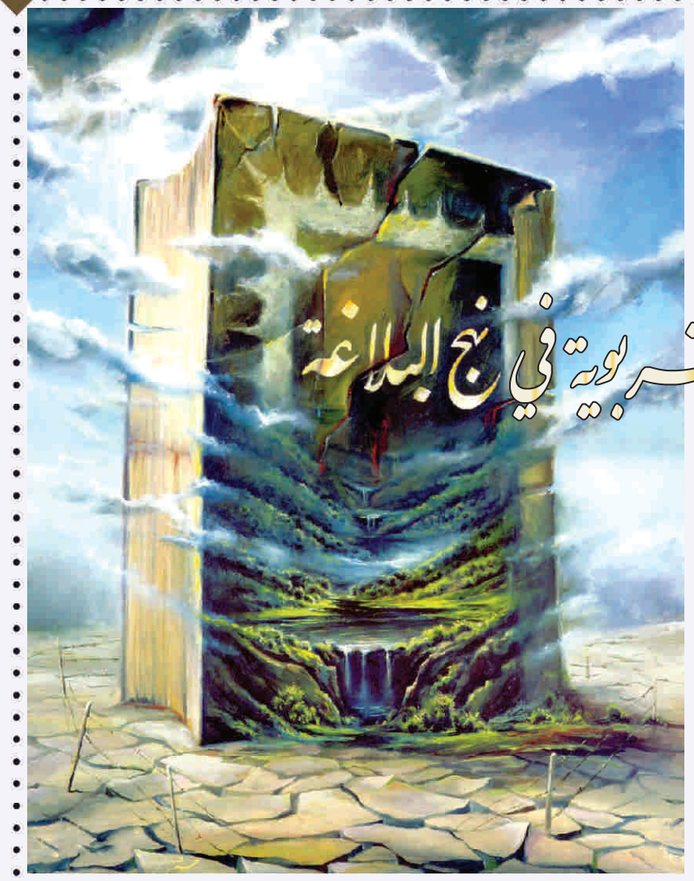

تحدثنا في العددين السابقين عن أربعة من المبادئ التربوية التي يمكن استنتاجها من نصوص كتاب نهج البلاغة، وسنذكر في هذا العدد ثلاثة مبادئ أخرى من تلك المبادئ التي يمكن لها أن تكون ركائز مهمة من ركائز تربية النفس وتهذيبها والترقي بواسطتها نحو مدارج الكمال الإنساني.

٥ - مبدأ التزكية

من المبادئ التي تقوم عليها التربية عند الإمام (عليه السلام): (مبدأ التزكية)، والتزكية لغة تعني (التنمية)، وعكسها (التدسية) والتي هي بمعنى أهملها وأخس حظها، قال تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا).

فالتربية التي يريدها الإمام هي تلك التي تساعد الإنسان على تنمية ملكاته النفسية وقواه الأخلاقية حتى تصل إلى أبعد مدى من الصلاح يمكن أن تصل إليه. ونجد في قوله: (ألا حر يدع هذه اللماظة لأهلها؟ إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها) إشارة واضحة لعظم شأن النفس البشرية وإلى ضرورة تأهيلها لاستحقاق الجنة وهو ما لا يمكن تحصيله إلا بتزكية النفس. وتزكية النفس حتى تستحق الجنة تتطلب تنمية شاملة ومستمرة، لذا، في وصفه للمتقين، يجعل الإمام من أهم فضائلهم انشغالهم الدائم بتزكية أنفسهم، فيقول (عليه السلام): (لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكي أحد منهم خاف مما يقال له. فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي من نفسي). والنفس في اكتسابها للعلوم وعاء قابل للاتساع (كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع ولا عذر يوجب قطع العلم (قطع العلم عذر المتعللين) كما ولا جهل يبرر الحياء من السؤال: (ولا يستحين أحد إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم. ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه).

إنّ هو مبدأ التزكية الذي يريده الإمام من أصحابه وأن يعدّوه من أولوياتهم، هو ما جاء في قوله: (فكأنكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله. فمن شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات ومرت به شياطينه في طغيانه، وزينت له سيئ أعماله).

٦ - مبدأ الاستخلاف

ومن المبادئ الأساسية التي وردت في التربية النفسية في نهج البلاغة مبدأ الاستخلاف. ويقوم هذا المبدأ على الاعتقاد بأن الإنسان لم يخلق عبثا ولم يترك سدى بل خلق لدور عظيم وخطير في آن، ألا وهو عمارة الأرض وخلافة الله فيها. فيقول (عليه السلام) محدثا عن آدم (عليه السلام): ((فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده)) ويتضح من هذا القول أن عمارة الأرض هي سر عظمة الإنسان وتفضله على بقية خلق الله. إلا أن هذه العمارة للأرض ليست حبا في الحياة الدنيا لذاتها، وإنما امتثالا لأمر الله تعالى وخدمة لعباده ورغبة في ثوابه. (أيها الذام للدنيا .. إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله).

لذا وجب أن تتم بالشكل الذي يريده الله وأن تبنى العلاقات الفردية والاجتماعية على أساس تعاليم دين الله (... لم تكن بيعتكم إياي فلتة، وليس أمري وأمركم واحداً، إني أريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم .. أيها الناس، أعينوني على أنفسكم، وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته، حتى أورده منهل الحق وإن كان كارها) وهو ما يتطلب إعدادا خاصا لجميع جوانب الشخصية الإنسانية، لذا حرص الإمام على تربية الناس على هذا المبدأ بالكلمة والمواقف.

هذا الإعداد يهدف إلى الاعتناء بتنمية الشخصية الإنسانية في جوانبها المادية بقدر اعتنائه بتنميتها في جوانبها الروحية. وهذا هو سر ارتباط التقوى عند الإمام بالعمل والتزكية بالعلم والعبادة بالجهاد (وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم سيماهم سيما الصديقين وكلامهم كلام الإبرار... لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ولا يفسدون. قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل).

وقد وردت عن الإمام حكم كثيرة يستفاد منها ضرورة الجد والاجتهاد وعدم الخنوع والتواكل، كقوله (عليه السلام) (لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق إلا بالجد).

وقوله: (الولايات مضامير الرجال) فيها اخبار عن الولايات تظهر البواطن.

ونستنتج من ذلك أن لهذا المبدأ أثرا كبيراً في النهج التربوي. ففرق كبير بين عمل في الدنيا من أجل الدنيا، وعمل في الدنيا من أجل الآخرة. ومن أهم ما يميز التربية التي تنطلق من هذا المبدأ، أنها:

أ: تجمع بين العمل للدنيا والعمل للآخرة

يقول الإمام علي (عليه السلام) (واعلموا عباد الله أنّ المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت..).

ب: تجمع بين السياسة والأخلاق

كما أكد على ذلك الإمام في وصاياه لولاته على الأمصار، وأهمها: عهده لمالك الأشتر، ومما جاء فيه: (ثم اختر للحكام بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور...وأوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرهم عند اتضاح الحكم). وكذلك في سلوكه مع أعدائه: (والله ما معاوية بأدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة. والله ما استغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة).

ج: تجمع بين بأس المقاتل وسماحة الناسك:

وقد برز ذلك من خلال تحديد الإمام (عليه السلام) لأهداف الحروب التي خاضها: (فوالله ما دفعت الحرب يوما إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها).

وفي السلوك الذي يريد أن يتعامل به مع عدوه، إذا انتصر عليه: (اللهم...إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي وسددنا للحق).

ومن ذلك أيضاً توجيهاته (عليه السلام) لقادة جيوشه بأن يلتزموا أخلاق الحرب وطريقة التعامل مع الحرث والنسل في أثناء الحروب.

٧ - مبدأ الحرية والاختيار

ومن المبادئ التربوية التي أكدها الإمام (عليه السلام) في خطبه وعظاته: مبدأ الحرية والاختيار. وقد يتصور البعض أن تسمية هذا بالحرية يتنافى مع غاية التربية عند الإمام وهو ما أسميناه بالعبودية لله عز وجل. إلا أن قراءة متأملة لأقوال الإمام تظهر ترابطا عميقا بين الأمرين. فلا حرية واقعية، في نظر الإمام، إلا لمن أقر بالعبودية لله قولا وفعلا، وتحرر من أسر العادات والتقاليد والأشخاص، وقبل كل شيء من أسر هوى نفسه. وليس أدل على ذلك من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا).

والحرية ضرورة من ضرورات الاستخلاف، فلا رأي صائباً لمن لا يتمتع بها (احذر الكلام في مجالس الخوف، فإن الخوف يذهل العقل الذي منه تستمد وشغله بحراسة النفس عن حراسة المذهب الذي تروم نصرته).

وليس أدل على عمق إيمان الإمام بهذا المبدأ، من دعوته للإيمان بالله المرتكز على اختيار حر وليس بداعي الطمع أو الخوف (إن قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار).

ومن رفضه لتفسير القضاء والقدر على طريقة الجبرية ما ورد في رده على أحد أهل الشام، مصححا مفهومه عن القضاء والقدر، بعد معركة صفين: (ويحك لعلك ظننت قضاء لازما، وقدرا حاتما؛ ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد. وإن سبحانه أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا). ومن كانت هذه عقيدته مع رب العباد، فلا بد أن يرفض كل علاقة مبنية على الخضوع والذل بين العباد: (ألا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم، وترفعوا فوق نسبهم). حتى لو كانت تلك العلاقة معه هو، فلقد قال (عليه السلام) لأحد أصحابه حين تبعه وهو راكب على فرسه: (ارجع فإن مشي مثلك مع مثلي فتنة للوالي ومذلة للمؤمن).

وانطلاقا من هذا المبدأ أيضا انطلق الإمام (عليه السلام) في تنظيره لأهمية الأخذ بمبدأ الجهاد في حركة الصراع مع الظالمين والمستبدين، فيقول (عليه السلام): (المنية ولا الدنية، والتقلل ولا التوسل). ويقول: (... فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين).

ولقد عبر عن ذلك، بشكل أكثر وضوحا، في خطبته الشهيرة حول الجهاد ووصاياه لابنه الحسن (عليه السلام) ووصفه للمتقين[1].

(١) المبادئ والأساليب التربوية في نهج البلاغة (دراسة مقارنة)، أميرة برغل، ص٢٠٩ -٢١٧، مع تصرف بسيط.

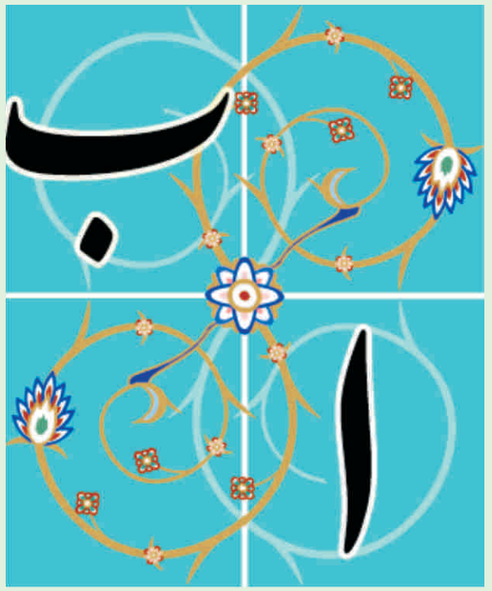

تعريف الإبداع

الإبداع في اللغة العربية مصدر لفعل أبدع بمعنى اخترع أو ابتكر على غير مثال سابق. وتعريف الموسوعة الفلسفية العربية الإبداع على أنه إنتاج شيء جديد أو صياغة عناصر موجودة بصورة جديدة في أحد المجالات كالعلوم والفنون والآداب. أما الموسوعة البريطانية الجديدة فتعرف الإبداع على أنه القدرة على إيجاد شيء جديد كحل لمشكلة ما أو أداة جديدة أو أثر فني أو أسلوب جديد (**The New Encyclopedia Britanica, 1992**).

وفي قاموس علم النفس يعرف ريبر (**Reber, 1985**) الإبداع بأنه تعبير يستخدمه المختصون وغيرهم للإشارة إلى العمليات العقلية التي تؤدي إلى حلول أو أشكال فنية أو نظريات أو نتاجات فريدة أو جديدة. إن الأصالة أو الجدة كما يبدو هي العامل المشترك بين هذه التعريفات، وهي المحك الأهم في الحكم على مستوى الإبداع في نتاجات الأفراد عموما. ولكن المشكلة هنا هي عدم الإشارة إلى المجموعة أو الجهة المرجعية في الحكم على أصالة النتاجات:

– أ نتاجات الراشدين أم نتاجات المجتمع العمري أم النتاجات السابقة للفرد نفسه؟

– كيف يمكن لنا أن نعرف فيما إذا كان عمل ما أو حل لمشكلة ما يحقق شرط الجدة أو الأصالة؟

تجدر الإشارة هنا إلى أن الاتجاهات الانسانية في الإبداع كما عبر عنها فروم (**Fromm**) وماسلو (**Maslow**) وروجرز (**Rogers**) تتبنى وجهة النظر القائلة باعتماد الخبرة الشخصية السابقة أساسا للحكم على نوعية نتاجات الأفراد. بمعنى أن الأصالة صفة ليست مطلقة ولكنها محددة بالنسبة لفرد بعينه وفي إطار خبرته الذاتية دون مقارنة مع خبرات أقرانه ونتاجاتهم. وقد يكون هذا المنطق وراء الاتجاه الذي يميز بين نوعين من الإبداع:

– الإبداع الشخصي الذي يمكن تطويره لأي كان ومعياره المرجعي هو الخبرة الذاتية للشخص.

– الإبداع الحضاري أو العالمي وهو ما يستلزم وجود موهبة أو قدرة عقلية مرتفعة واستعدادات شخصية متطورة، ومعياره في هذه الحالة قد يكون محلياً أو إقليمياً أو عالمياً وقد أظهرت المراجعات

العديدة للأدب التربوي حول تعريف الإبداع. أن هناك عشرات التعريفات المختلفة، كما وجد أن هذه التعريفات تتمحور في معظمها حول أربعة أبعاد:

١ – تعريفات محورها المناخ الذي يقع فيه الإبداع، ويتبناها علماء الاجتماع وعلماء الإنسان.

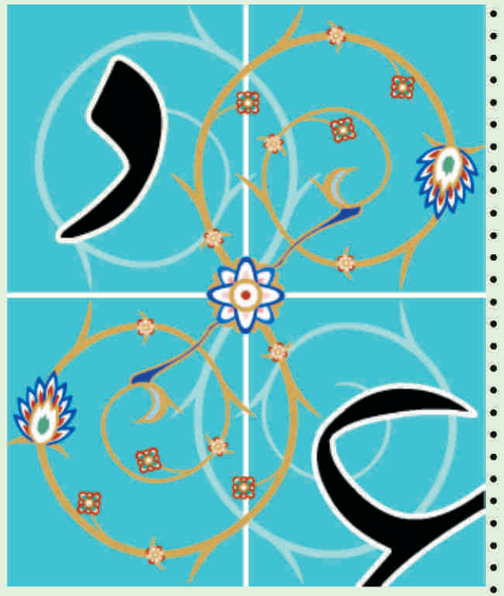

٢ – تعريفات محورها الإنسان المبدع بخصائصه الشخصية والتطورية والمعرفية، ويتبناها علماء نفس الشخصية.

٣ – تعريفات محورها العملية الإبداعية ومراحلها وارتباطها بحل المشكلات وأنماط التفكير ومعالجة المعلومات، ويتبناها علماء النفس المعرفيون.

٤ – تعريفات محورها النواتج الإبداعية والحكم عليها على أساس الأصالة والملاءمة، وهذه التعريفات هي الأكثر شيوعا لأنها تعكس الجانب المادي والملموس لعملية الإبداع، وهذا هو جوهر مفهوم الإبداع الكلاسيكي.

ويشار إلى هذه الأبعاد بصفة مختصرة في ما يسمى ب ح (**4p,s**) التي ترمز إلى الشخص **Person**.

ويمكن تضمينها جميعا في تعريف شامل أعتقد أنه يلخص المفهوم بطريقة ذات مدلول تربوي واضح، وينص هذا التعريف على أن:

– الإبداع مزيج من القدرات والاستعدادات والخصائص الشخصية التي إذا ما وجدت بيئة مناسبة يمكن أن ترقى بالعمليات العقلية لتؤدي إلى نتاجات أصيلة ومفيدة سواء بالنسبة لخبرات الفرد السابقة أو خبرات المؤسسة أو المجتمع أو العالم إذا كانت النتاجات من مستوى الاختراقات الإبداعية في أحد ميادين الحياة الإنسانية (جروان، ١٩٩٨).

وقبل أن نعرض لأحد التصنيفات المشهورة لتعريفات الإبداع، لا بد من الإشارة إلى التعريف الذي قدمه تورانس **Torrance** أحد الرواد الأوائل من الباحثين الذين كرسوا حياتهم لقياس الإبداع وتدريب المبدعين.

تعريف تورانس للإبداع

– الإبداع عملية تحسس للمشكلات والوعي بمواطن الضعف والثغرات وعدم الانسجام والنقص في المعلومات، والبحث عن حلول والتنبؤ، وصياغة فرضيات جديدة، واختبار الفرضيات وإعادة صياغتها أو تعديلها من أجل التوصل إلى حلول أو ارتباطات جديدة باستخدام المعطيات المتوافرة، ونقل أو توصيل النتائج للآخرين (**Torrance,1993**).

وقبل تورانس، كان جيلفورد **Guilford** الذي يعود إليه الفضل في الخروج على النظرية التقليدية للذكاء ومساواته بالإبداع، وتقدم نظريته في التكون العقلي والتفريق بين التفكير المتقارب أو التجميعي الذي تقيسه اختبارات الذكاء، وبين التفكير المتباعد أو المتشعب، **Divergent** الذي تقيسه اختبارات الإبداع التي وضعها. وقد عرف جيلفورد الإبداع بأنه:

سمات استعدادية تضم الطلاقة في التفكير والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات وإعادة تعريف المشكلة وإيضاحها بالتفصيلات أو الإسهاب (**Guilford**).

وأخيرا تجدر الإشارة إلى اختلافات الباحثين العرب حول المصطلحات التي يستخدمونها في دراسات الإبداع فهناك بعض الباحثين يستخدمون كلمة الإبداع بينما البعض الآخر يستخدمون كلمة الابتكار وقد أشارت مراجعة للدراسات المصورة في قاعدة بيانات الدكتور محمد الصاوي وعددها ٢٨٧ دراسة لهذه الحقيقة، حيث تفيد أن بحوث كليات التربية تركز على الابتكار بينما تركز كليات الآداب والتربية الفنية والموسيقية على الإبداع وتبين أن حوالي ٧٠% من الدراسات موضع التحليل استخدمت مصطلح الابتكار في حين بلغت نسبة الدراسات التي استخدمت مصطلح الإبداع حوالي ٢١% فقط، أما مصطلح العبقرية فقد استخدم في ١% فقط من هذه الدراسات[1].

١ – الإبداع: د. فتحي عبد الرحمن جروان، ص١٩–٢٢.

حكمة الابتلاءات

إن مفهوم الاختبار الإلهي يختلف عن الاختبار البشري. اختباراتنا البشرية تستهدف رفع الإبهام والجهل، والاختبار الإلهي قصده «التربية» فهو يربي الإنسان على الإبتلاء.

في أكثر من عشرين موضعا تحدّث القرآن عن الاختبار الإلهي، بوصفه سنة كونية لا تنقض من أجل تفجير الطاقات الكامنة، ونقلها من القوة إلى الفعل، ومن ثم فالاختبار الإلهي من أجل تربية العباد، فكما أن الفولاذ يتخلص من شوائبه عند صهره في الفرن، كذلك الإنسان يخلص وينقى في خضم الحوادث، ويصبح أكثر قدرة على مواجهة الصعاب والتحديات.

الاختبار الإلهي يشبه عمل زارع خبير، ينثر البذور الصالحة في الأرض الصالحة، كي تستفيد هذه البذور من مواهب الطبيعة وتبدأ بالنمو، ثم تصارع هذه البذرة كل المشاكل والصعاب بالتدريج، وتقاوم الحوادث المختلفة كالريح العاتية والبرد الشديد والحر اللافح، لتخرج بعد ذلك نبتة مزهرة أو شجرة مثمرة، تستطيع، أن تواصل حياتها أمام الصعاب. ومن أجل تصعيد معنويات القوات المسلحة، يؤخذ الجنود إلى مناورات وحرب اصطناعية، يعانون فيها من مشاكل العطش والجوع والحر والبرد والظروف الصعبة والحواجز المنيعة. وهذا هو سر الاختبارات الإلهية.

يقول سبحانه في كتابه العزيز: (وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ)[1].

حكمة الابتلاءات في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)

يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في بيان سبب الاختبارات الإلهية: «... وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب والعقاب»[2].

لو لم يكن الاختبار الإلهي لما تفجرت هذه القابليات، ولما أثمرت الكفاءات، وهذه هي فلسفة الاختبار الإلهي في منطق الإسلام.

الاختبار الإلهي عام

نظام الحياة في الكون نظام تكامل وتربية، وكل الموجودات الحية تطوي مسيرة تكاملها، حتى الأشجار تعبر عن قابلياتها الكامنة بالأثمار، من هنا فإن كل البشر، حتى الأنبياء، مشمولون بقانون الاختبار كي تنجلي قدراتهم. الامتحانات تشمل الجميع وإن اختلفت شدتها ومن ثم تختلف نتائجها أيضا، يقول سبحانه: (أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)[3].

ثم يذكر القرآن هذه الحقيقة – بعد الآية المتقدمة – مباشرة، وهي أن الامتحان سنة إلهية دائمية، فالامتحان لا يختص بكم – أيها المسلمون – بل هو سنة جارية في جميع الأمم المتقدمة، إذ يقول: (وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ). وهكذا ألقينا بهم أيضا في القاعات الامتحانية الشديدة الصعبة ... ووقعوا أيضا – تحت تأثير ضغوط الأعداء القساة والجهلة المعاندين .... فساحة الامتحان كانت مفتوحة دائما، واشترك فيها جماعة كثيرون.

وينبغي أن يكون الأمر كذلك، لأنه في مقام الإدعاء يمكن لكل أحد أن يذكر عن نفسه أنه أشرف مجاهد وأفضل مؤمن وأكثر الناس تضحية .... فلا بد من معرفة قيمة هذه الإدعاءات بالامتحان، وينبغي أن تعرف النيات والسرائر إلى أي مدى تنسجم مع هذه الإدعاءات؟ أجل (فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ)[4].

ظهور علم الله

من البديهي، أن الله يعرف جميع الأمور جيدا – قبل أن يخلق الإنسان – إلا أن المراد من العلم هنا هو التحقق العيني للمسائل .... ووجودها الخارجي، وبتعبير آخر: ظهور الآثار والشواهد العملية ... ومعناه أنه ينبغي أن يرى علم الله في هذه المجموعة عمليا في الخارج، وأن يكون لها تحقق عيني، وأن يكشف كل عما في نفسه وداخله ... هذا هو العلم حين يطلق على مثل هذه المسائل وينسب إلى الله! والدليل على هذه المسألة واضح – أيضا – لان النيات والصفات الباطنية إذا لم تحقق في عمل الإنسان وتكون عينية، فلا مفهوم للثواب والجزاء والعقاب!.

وبعبارة أخرى: فإن هذا العالم مثله كمثل «المدرسة» أو «المزرعة» والتشبيهات هذه واردة في متون الأحاديث الإسلامية والمنهج هو أن تتفتح الاستعدادات وتربى القابليات وتكون فعلية بعد ما كانت بالقوة.

وينبغي أن تنمو البذور في هذه المدرسة وأن تطلع البراعم من تحت الأرض فتحاط بالرعاية والعناية لتكون شجيرات صغيرة، ثم تكون أشجارا ذوات أصول قوية وأغصان مثمرة على تعاقب الزمن ... وهذه الأمور لا تكون إلا بالامتحان والاختبار.

ومن الطريف أننا نقرأ حديثا عن أحد المعصومين في أصول الكافي في (أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)[5] يقول فيه: «يفتنون كما يفتن الذهب، ثم قال يخلصون كما يخلص الذهب»[6].

وعلى كل حال، فإن طالبي العافية الذين يظنون أن إظهار الإيمان كاف بهذا المقدار ليكونوا في صفوف المؤمنين وفي أعلى عليين في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهم في خطأ كبير.

لتغربلن غربلة

وعلى حد تعبير أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة: «والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة، ولتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم»[7].

قال (عليه السلام) هذا الكلام والناس جديد عهد بيعته، وينتظرون ما سيفعل ببيت المال، أيقسمه حسب الجاه والمقامات بحسب المعايير السابقة، فيبعّض في المال، فيعطي الكثير لبعضهم بحسب المقام، والقليل للبعض الآخر! أم سيسير معهم بالعدل المحمدي؟.

وأخيرا، فالاختبار الإلهي – كما ذكرنا – شامل عام يدخل في نطاقه حتى الأنبياء (عليهم السلام) بل إن اختبارهم بسبب ثقل مسؤوليتهم أشد بكثير من اختبار الآخرين.

القرآن الكريم يعرض صورا لاختبارات شديدة مر بها الأنبياء (عليهم السلام) وبعضهم مر بمراحل طويلة شاقة قبل وصوله إلى مقام الرسالة، كي يكون على أتم الاستعداد لتحمل أعباء قيادة أمته.

نماذج من الابتلاءات الإلهية

القرآن يعرض نماذج لاختبارات الأنبياء إذ يقول:

(وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ)[8].

ورد في الروايات الإسلامية عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«إن أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الذين يلونهم، الأمثل فالأمثل»[9].

كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«إن في الجنة منزلة لا يبلغها عبد إلا بالابتلاء»[10].

ويقول القرآن الكريم بشأن اختبار سليمان: (فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ)[11][12].

إن في الجنة منزلة لا يبلغها عبد إلا بالابتلاء

١. سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.
٢. نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم٩٣.
٣. سورة العنكبوت، الآية: ٢.
٤. سورة العنكبوت، الآية: ٣-١.
٥. سورة العنكبوت، الآية: ٢.
٦. أصول الكافي، طبقا لما نقل في تفسير نور الثقلين: ٤/١٤٨.
٧. نهج البلاغة، خطبة١٦.
٨. سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
٩. سفينة البحار: ١/١٠٥، مادة (بلاء).
١٠. المصدر السابق.
١١. سورة النمل، الآية: ٤٠.
١٢. مئة موضوع أخلاقي في القرآن والحديث: مكارم الشيرازي، ص١١٢-١١٦.

تعرفنا في العدد السابق على وجوب الاعتقاد بوحدانية الله سبحانه وتعالى، وعلى بعض أدلة التوحيد، وأشرنا إلى بعض الآيات والروايات الشريفة التي تحدثت عن التوحيد، كما واستعرضنا بعض الثمار العملية له، والتي يمكن للإنسان من خلالها ان يتذوق حلاوة هذا الأصل الأول من أصول الدين، وسنستعرض في هذا العدد أقسام التوحيد وبعض مراتبه، مع مراعاة الاختصار وعدم التعقيد في العبارة قدر المستطاع.

أقسام التوحيد

١. توحيد الذات

وقد ذُكر لهذا القسم معنيان:

المعنى الأول

التوحيد الواحدي: بمعنى ان ليس له نظير ولا مثيل، فهو واحد ليس له ثانٍ، وهذا ما تم إثباته في العدد السابق والمقصود من الوحدة هنا هي الوحدة الحقيقية، وليس الوحدة العددية، والوحدة الحقيقية هي: (عبارة عن كون الموجود لا ثاني له، بمعنى أنه لا يقبل الإثنينية، ولا التكثر ولا التكرر).

وقد روي ان أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين أتقول: إن الله واحد؟ قال: فحمل الناس عليه، قالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه، فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال: (يا أعرابي إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام: فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه، فقول القائل: واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا ما لا يجوز، لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من قال: ثالث ثلاثة. وقول القائل: هو واحد من الناس، يريد به النوع من الجنس، فبهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه، وجل ربنا عن ذلك و تعالى. وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل: هو واحد ليس له في الأشياء شبه، كذلك ربنا، وقول القائل: إنه عز وجل أحدي المعنى، يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل).

المعنى الثاني

التوحيد الأحدي: بمعنى ان ذاته المقدسة لا تقبل الانقسام، وانه تعالى غير مركب من أجزاء، وقد تم إثبات ذلك في مبحث الصفات السلبية، الذي مر ذكره في أعداد سابقة.

وقد أشار سبحانه إلى هذين المعنيين في سورة الإخلاص فقال في صدر السورة «قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ» هادفا إلى أنه بسيط لا جزء له وقال في ختامها «وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ» بمعنى لا ثاني له.

٢. توحيد الصفات

وهو يعني أنّ صفاته لا تنفصل عن ذاته، ولا تنفصل عن بعضها. فعلى سبيل المثال العلم والقدرة في الإنسان عارضان على ذاته. فذاته شيء، وعلمه وقدرته شيء آخر. كما أن علمه وقدرته منفصلان عن بعضهما. فمركز العلم روح الإنسان، ومركز قدرته الجسمية ذراعه وعضلاته. ولكن صفات الله ليست زائدة على ذاته، وليست منفصلة عن بعضها، فليس العلم في جهة من جهات ذاته والقدرة في جهة ثانية والحياة في جهة ثالثة. بل هو وجود كله علم، وكله قدرة، وكله أزلية وأبدية. ولو لم يكن ذلك لاستلزم التركيب، وإن كان مركبا لاحتاج إلى الأجزاء والمحتاج لا يكون واجبا للوجود، كما تم إثبات ذلك في أعداد سابقة.

ويمكن أن يستدل على ان صفاته سبحانه هي عين ذاته وان كل صفة هي عين الصفة الأخرى لا اثنينية بين الجميع بأنه لو كان لكل واحدة من الصفات الإلهية مصداق مستقل عن الذات أو عن غيرها من باقي الصفات فلا يخرج عن عدة حالات:

ألف: فإمّا أن تكون هذه الصفات متعددة وتكون في داخل الذات الإلهية ويلزم من هذا الافتراض أن تكون الذات الإلهية مركبة من أجزاء وهو محال، لان ذاته تعالى غير مركبة من أجزاء.

باء: وإما أن نفترض بأنها خارج الذات الإلهية وفي هذه الحالة: إما أن نتصورها قديمة لا أول لوجودها شأنها شأن الذات الإلهية، وهو يؤدي إلى الاعتقاد بتعدد القدماء وهو الشرك الصريح.

وإما أن تكون هذه الصفات التي خارج الذات ممكنة الوجود ومخلوقة لله فيلزم من ذلك القول بأن الذات الإلهية كانت في وقت من الأوقات فاقدة للعلم والقدرة والحياة وغيرها من الصفات ومن ثم خلقتها وأوجدتها ومن ثم اتصفت بها، وهو محال لان فاقد الشيء لا يعطيه.

وبهذان الاحتمالان يتضح لنا أن الصفات الإلهية ليست لها مصاديق مستقلة كل واحدة عن الأخرى، وعن الذات الإلهية بل إن هذه الصفات كلها مفاهيم ينتزعها العقل من مصداق واحد بسيط هو الذات الإلهية المقدسة، ولو أردنا ان نقرب الفكرة فان الإنسان لو تأمل في حلاوة السكر أو بياض الحليب، فان كلاً من صفتي الحلاوة والبياض هما من صميم السكر ومن ذاتيات الحليب ولا يمكن ان ننتزع السكر عن الحلاوة ولا البياض عن الحليب ولكن العقل له قابلية انتزاع عدة معانٍ وحقائق عن شيء واحد.

ولكن بعض المذاهب الإسلامية اعتقدت بوجود الإثنينية ما بين الذات الإلهية المقدسة وما بين صفاته الشريفة، فاعتقدت بوجود سبع صفات لله كلهن غير الذات وهن يتصفن في نفس الوقت بصفة القدم والأزلية، وهو بناء على ما مر يعدّ شركا واعتقادا بوجود عدة قدماء فضلاً عن لزوم ان تكون الذات الإلهية خالية عن صفات الكمال، وهو قول لا يقرّ به موحد.

وستأتي ان شاء الله تعالى في الأعداد السابقة بقية أقسام التوحيد والمسائل المتفرعة عنها.

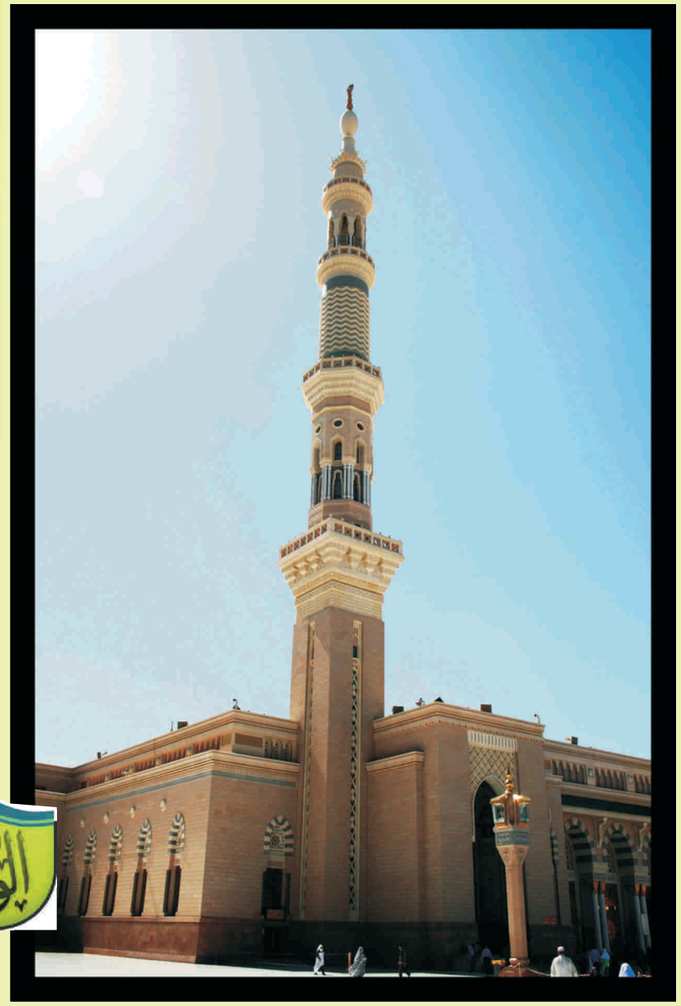

عجيبة في: من حفر بئراً لأخيه فقد وقع فيها

يحكى أن رجلا من التجار أمسى عليه الليل فضاف عند رجل من أهل البلدة التي قصدها للتجارة فلما جلس عنده قليلاً قال له صاحب المنزل: إن كان عندك شيء من المال فحله من حزامك وأودعه زوجتي إلى غد لعلك تخرج ليلا لقضاء الحاجة وتخاف عليك من ملاقاة اللصوص، فحل همیانه وكان فيه أربعمائة محمدية.

فلما وضعه عند المرأة خرج لقضاء الحاجة فلما أقبل سمع الرجل يقول لامرأته: إنا نريد أن نزوج ولدنا فلانا وكان المانع الخرج، فهلمي أن نقتل هذا الرجل ونأخذ هذه الدراهم لزواج الولد فاتفقا على ذلك فعمدا إلى البيت الذي

وجاء في كتاب خلق الإنسان عن المهلبي الوزير، قال: ركبت في سفينة من البصرة قبل الوزارة مع جماعة إلى بغداد، وكان في السفينة رجل مزاح ظريف، وأهل السفينة يمازحونه، ومن جملة مزاحهم أنهم وضعوا في رجله حديدا ساعة ثم لما فرغوا من مزاحهم أرادوا فك ذلك الحديد من رجله فضاع المفتاح، وكلما عالجوا فكه لم يقدروا عليه فبقي في رجله إلى بغداد، فأتوا بحداد يحل الحديد، فلما رآه ظنه سارقا وقال: حتى يحضر العسس فمضوا إلى العسس[1] وأخبروه، فأتى الرجل مع جماعة فنظر إليه بعضهم وقال: أنت فلان قتلت أخي بالبصرة وانهزمت، وأنا في طلبك، فاخرج كاغذة فيها مهور أعيان البصرة، واحضر عادلين على ما ادعى فسلموا إليه فقتلوه قصاصا[2].

ينام فيه الضيف وفرشا له فراشا ووسادة، فلما مضى من الليل مقدار خرج الرجل من ذلك البيت وصعد إلى السطح حذرا من القتل وللنظر إلى ما يصنعون. ثم إن ولدهم كان عند رجل من الجيران فأتى إلى أهله فلما وصل بيت الضيافة رأى فراشا وسراجاً وكان قد أخذه النوم، فنام على ذلك الفراش، فلما انتصف الليل أتى الرجل وزوجته فأرسلا صعفة من خارج البيت وأطفأا السراج، ودخلا وفي يد كل واحد منهما منجل عريض فتوارداه على رأسه حتى مات فقطعاه في الليل ورموه في البئر وهم يعلمون انه الضيف.

١ـ أي الشرطة.

٢ـ عبر من التاريخ: الشيخ باقر المحسني، ج١ ـ ص٥٩ ـ ٦١.

فلما طلع الفجر عمد الرجل إلى رئيس تلك المحلة وقال له: امض معي مع جماعة حتى أوقفك على أمر غريب. فأتوا معه إلى باب ذلك الرجل فطرق الباب وخرج الرجل ورأى الضيف فتعجب فقال له الضيف: أعطني دراهمي فدخل على زوجته وقال: إن الرجل الذي قتلناه ليلا جاء هذا الوقت ولا أظنه إلا من الجن فاخرج إليه دراهمه فلما قبضها حكى الحكاية كلها لرئيس المحلة فعمدوا إلى البئر وأخرجوا قطع المقتول وإذا هو ولدهم الذي عزما على زواجه من تلك الدراهم. ومن حفر لأخيه بئراً أوقعه الله فيها.

اخترنا في هذا العدد ان نورد ما روي في بعض المصادر الإسلامية عن معاجز فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان منها:

أولاً: تكلم فاطمة (عليها السلام) مع أمها وهي في بطنها

فقد روي الشيخ عبد الرحمن الصفوري الشافعي حيث قال: قالت خديجة (رضي الله عنها): لما حملت بفاطمة كانت حملا خفيفا تكلمني من باطني[1].

ومنها: ما ذكره حسن بن المولوي حيث قال: ذكر الشيخ عز الدين عبد السلام الشافعي، أنه لما حملت خديجة بفاطمة كانت تكلمها ما في بطنها، وكانت تكتمها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فدخل عليها يوما ووجدها تتكلم وليس معها غيرها، فسألها عمن كانت تخاطبه؟

فقالت: مع ما في بطني فإنه يتكلم معي.

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

«أبشري يا خديجة، هذه بنت جعلها الله أم أحد عشر من خلفائي يخرجون بعدي وبعد أبيهم»[2].

ثانياً: دوران الرحى وفاطمة عليها السلام نائمة

عن ميمونة بنت الحارث حيث قالت: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لها:

اذهبي بهذا الصاع إلى فاطمة تطحنه لنا، فبينما هي تطحن اذ غلبتها عينها، فذهب بها النوم.

فقال نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أبطأ علينا طعامنا، فانظري ما حبسها؟

فذهبت ميمونة، فاطلعت من الباب فإذا الرحى تدور وإذا فاطمة نائمة، فرجعت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت: رأيت فاطمة (عليها السلام) نائمة والرحى تدور، فقال: ما أحد يديرها؟.

قالت: ما أحد يديرها، فقال: رحم الله جل جلاله أمتها، حيث رأى ضعفها فأوحى إلى الرحى فدارت، فجاءت ميمونة إلى طعامها وقد فرغ الرحى من طحنه[3][4].

---

١. نزهة المجالس، ج٢، ص٢٧٧، وينابيع المودة، ص١٩٨.

٢. تجهيز الجيش، ص٩٩.

٣. مقتل الحسين، الخوارزمي، ج١، ص٦٩، ولسان الميزان، ج٥، ص٦٥.

٤. المعاجز والكرامات، الشيخ فاضل الصفار، ص٧٧ـ٧٨.

بريد بن معاوية العجلي

من أوتاد الأرض وأعلام الدين

هو أبو القاسم بريد بن معاوية العجلي، قال ابن حجر في لسان الميزان: (بريد بن معاوية بن أبي حكيم، واسمه حاتم العجلي. يكنى أبا القاسم) حدّث عن كل من الإمامين الباقر والصادق (صلوات الله وسلامه عليهما) وأكثر رواياته عن الإمامين مباشرة دون واسطة، قال الشيخ النجاشي بحقه: (وجه من وجوه أصحابنا، وفقيه أيضا، له محل عند الأئمة «عليهم السلام»).

إجماع الطائفة على صحة رواياته

قال أبو عمرو الكشي في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام): (اجتمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله «عليهما السلام»، وانقادوا لهم بالفقه. فقالوا أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبريد...).

وقال ابن شهر آشوب في المناقب في فقهاء أصحاب أبي جعفر الباقر «عليه السلام»: (واجتمعت العصابة أن أفقه الأولين ستة. وهم أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام). وهم: زرارة بن أعين...وبريد بن معاوية العجلي).

منزلته عند الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم

قد وردت روايات كثيرة في مدح بريد ابن معاوية العجلي، وأوضحت محله عند الأئمة (عليهم السلام) في الدنيا والآخرة نختار منها على سبيل المثال ما يلي:

١. انه من حواريي الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام

فعن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام انه قال:

(إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذين لم ينقضوا العهد، ومضوا عليه، فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر.

ثم ينادي مناد: أين حواري علي بن أبي طالب وصي محمد بن عبد الله رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيقوم عمرو ابن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيى التمار مولى بني أسد، وأويس القرني...ثم ينادي المنادي: أين حواري محمد بن علي وحواري جعفر بن محمد «عليهما السلام»؟

فيقوم عبد الله بن شريك العامري، وزرارة بن أعين، وبريد بن معاوية العجلي، ومحمد بن مسلم، وأبو بصير ليث بن البختري المرادي...).

٢. أنه من أوتاد الأرض وأعلام الدين

عن جميل بن دراج، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (أوتاد الأرض، وأعلام الدين أربعة، محمد بن مسلم، وبريد بن معاوية، وليث بن البختري المرادي، وزرارة بن أعين).

٣. أنه من نجوم الشيعة وممن يدفع به السوء عن أهل الأرض

عن جميل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، في مدح محمد بن مسلم، وبريد بن معاوية، وليث بن البختري المرادي، وزرارة ابن أعين قوله (عليه السلام): (إذا أراد الله بأهل الأرض سوءا صرف بهم عنهم السوء. هم نجوم شيعتي أحياءً وأمواتا).

٤. أنه ممن يكشف الله به كل بدعة وباطل وغلو في الدين

روى الكشي في مدح زرارة وبريد العجلي والنظراء، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: (بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين، وتأول الغالين).

٥. أن بريدا من القوامين بالقسط الشهداء لله تعالى وغير المتبعين للهوى

قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): (إن أصحاب أبي «عليه السلام» كانوا زينا أحياءً وأمواتا، وأعني زرارة، ومحمد بن مسلم. ومنهم ليث المرادي، وبريد العجلي. هؤلاء القوامون بالقسط، وهؤلاء السابقون السابقون أولئك المقربون).

٦. أن بريدا من أحب الناس إلى الإمام الصادق (عليه السلام) حيا وميتا

عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: (زرارة وبريد بن معاوية ومحمد بن مسلم والأحول أحب الناس إلي أحياءً وأمواتا). وعن أبي عبد الله (عليه السلام) أيضا: (أربعة أحب الناس إلي أحياءً وأمواتا، بريد بن معاوية العجلي، وزرارة ابن أعين، ومحمد بن مسلم، وأبو جعفر الأحول، أحب الناس إلي أحياءً وأمواتا).

تاريخ موته رحمه الله تعالى ورضاه

تكاد كلمة المحققين تجمع على ان بريد ابن معاوية العجلي قد وافته المنية ورحل إلى جوار الله سبحانه في حياة الإمام أبي عبد الله الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وبذلك خسرت الأمة نجما من نجومها وعلما من أعلامها، وفقيها وعالما ثلم في الإسلام ثلمة لم يسدها شيء، فرحمه الله يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا فيدخل الجنة من أوسع أبوابها.

الحلقة الثالثة

أسس الحوار مع الطفل

هنالك ركائز أو لنقل أسس يعتمد عليها الحوار مع الطفل وهي:

أ. تقبل مشاعر الطفل

أولاً: أن نتقبل مشاعره قبل أن نبدأ الحوار معه فالأطفال مثل الكبار، يفكرون وتدور الهواجس والأحاسيس في داخلهم، ولكن الفرق بينهم وبين الكبار أنّهم لا يستطيعون التعبير عن مشاعرهم فتعمل الأحاسيس المختلفة بداخل الطفل الذي لم يتمكن بعد من التعبير عنها كما يفعل الكبار، ويتمُّ التعبير عن هذه المشاعر تلقائياً بسلوكيات مختلفة كالبكاء أو نوبات الغضب أو الهرب والالتصاق بالأم أو الأب، أو رفض المحاولة أو الضرب أو العض وما إلى ذلك. وما يفعله الكبار تجاه ذلك عادة ـ هو توبيخ الطفل أو نهيه عن إظهار مشاعره بهذه الطريقة. فمثلاً عندما يقع الطفل نقول له: لا تبكِ هذا جرح بسيط، أو أنت لست صغيراً لتبكي، أو نعلق على بكاء الرضيع ونقول: أوه أنت لا تسكت أبداً أزعجتنا كثيراً... وهكذا تتوالى التعليقات المختلفة التي تظهر عدم تقبلنا للمشاعر، فمثلاً عندما يضرب أو يعض طفلاً آخر، بدلاً من الهجوم على المعتدي وضربه أو توبيخه بكلمات قاسية علينا أن نهتم بالطفل الضحية بأن نضمه ونهدئه بوصف شعوره له بالكلمات: (أنت متألم ... هل تريد مساعدة؟) ثم نلتفت إلى المعتدي ونقول له بحزم (أنا أعرف أنك متضايق من زيد، تعال وأخبره بذلك، أما العض فهو مؤلم جداً، ولو كنت غاضباً يمكنك عض هذه المخدة فهي لا تتألم).

وبهذه الطريقة نكون قد تحدثنا مع الطفلين وساعدناهما كليهما على تقبل مشاعرهما وتقديم أنموذج إثبات.

إن ما سبق يتطلب منا استعراض مشاعر الطفل وكيفية التعامل معها:

١. الغضب

عند التعبير عنه غير المقبول علينا أولا إيقاف السلوك المؤذي للطفل أو للآخرين مثل الضرب أو العض أو قضم الأظافر أو صدم الرأس أو احد أجزاء الجسم في الأرض وذلك بان نقترب من الطفل ونطلب منه أن يتحدث، وربما نسمح له بضرب شيء طري للتنفس مع قول: أنا اعرف أنك غاضب، ولكن لن أسمح لك بإيذاء نفسك أو الآخرين هل تريد أن تخبرني شيئا؟

٢. الألم

قد يتعرض الطفل للألم المعنوي أو الجسدي، فيلجأ إلى البكاء، وعلينا في هذا الموقف البعد عن الطفل بصفات معينة، مثل: عيب إنك لست صغيرا، وبدلا من ذلك يقال له، بعد ضمه بحنان: «أنا أعَرف أنَك متألم ولكن صوت بكائك مرتفع، تعال يمكن أن نخرج حتى تهدأ» ثم بعد أن يهدأ الطفل يمكنه أن يتحدث إلى الشخص الذي آلمه أو إلى المربي للتعبير عن شعوره أو يمكن للمربي أن يساعده في ذلك إذا كان صغيرا: (تعال نتحدث إلى أحمد ونطلب منه لعبتك).

٣. الخوف

يظهر الأطفال الخوف في مواقف مختلفة مثل الخوف من التجريب والمحاولة، أو الخوف من الآخرين أو من الحيوانات، ويقع المربون في خطأ عندما يحاولون إقحام الطفل في تلك المواقف، أو توبيخه على خوفه. وما علينا أن نقوم به هو الاعتراف بمخاوف الطفل: (أنت تحب أن تسلّم على فلان، حسنا، وهو سيفرح كثيرا عندما نقوم بذلك) أنت خائف من البقاء في الروضة ولكن ستعتاد على المعلمة والأطفال ويقل لديك هذا الخوف.

وعندما يخاف من حيوان أو من شيء آخر نتقبل منهم ونساعدهم بأن نقول: (الحيوان لن يؤذينا، فهو داخل القفص) (اللصوص لن يدخلوا بيتنا لأننا أغلقنا الباب، وأنا سأكون في الغرفة المجاورة) وهكذا واجهنا سلوك الطفل وأعطيناه الفرصة ليكون إقباله على أداء السلوك نابعا من ذاته، بدل أن يسبب له عدم تقبلنا لشعوره ضيقا أكثر وتوتراً شديدا.

٤. التمركز حول الذات

يولد الإنسان بمشاعر طبيعية لحماية ذاته وإرضائها، وحين يرفض الطفل المشاركة في لعبته أو مشاركة طفل جديد الحب من والديه فهذا جزء من مشاعر حماية الذات. ورفض هذه المشاعر والتقليل من أهميتها يزيد من توهجها وظهورها بمظاهر سلوكية أخرى. فبدلا من توبيخ الطفل الذي يدفع أخاه الرضيع عن محجر أمه، تخبره: أن هذا الدافع يؤذي الرضيع، سأعطيه رضعته وأضعه في سريره ثم أضعك في حجري وأضمك كثيرا فانا أستمتع بالحديث معك. وكذلك عندما يرفض طفل المشاركة في لعبته يجب أن نقول له: (أنا اعرف أنك تحب لعبتك كثيرا ولكن أحمد سيفرح كثيرا عندما تعطيه دورا في لعبتك

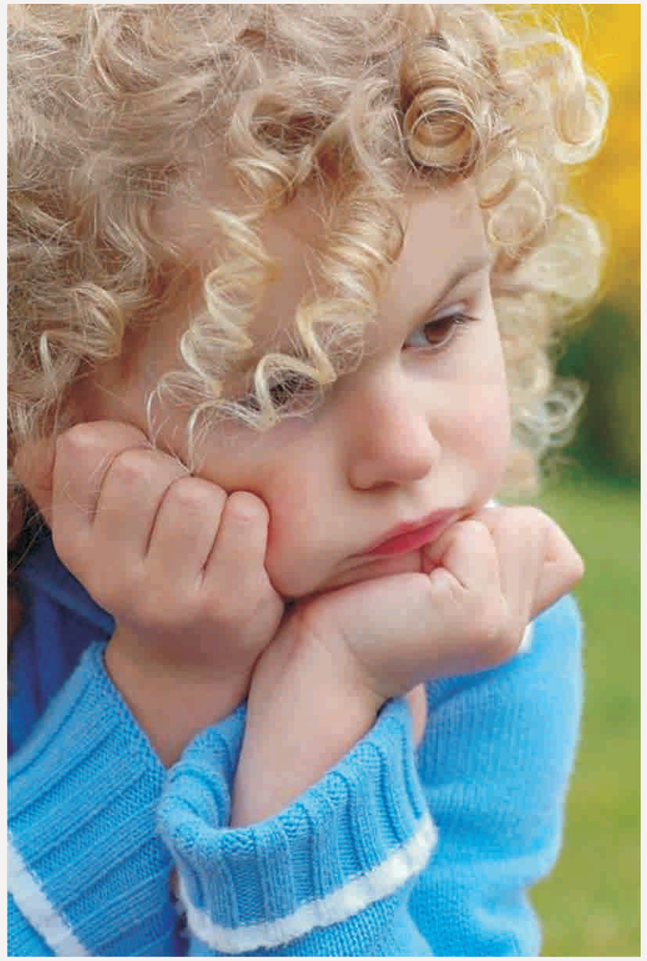

وهو يعطيك دورا في لعبته)، ثم نترك للطفل الفرصة في اتخاذ القرار، وعلينا قبول ذلك القرار مهما كان مزعجا.

ب ـ الاستماع إلى الطفل

من النادر أن نستمع إلى الطفل، إلا إذا لجأ إلى الشكوى أو البكاء، فالأم عادة تنشغل عن رضيعها، ولكنها تأتي بسرعة إليه حين تسمع بكاءه، والأمهات والمعلمات يتركن الأطفال يلعبون دون أي اهتمام، حتى يتقدم طفل بالشكوى أو بالبكاء. ولو جاء الطفل باكياً، فإننا لا نستمع إلى مشاعره بل نسأله: (من الذي ضربك؟) فيترك الطفل أحاسيسه الأساسية ويوجه مشاعره إلى الكره والغضب من الضارب. والطريقة الأجدى في مثل هذه الحالة أن نعطي الطفل الفرصة في الحديث ثم نغضب: (أنت متضايق من سلوك فلان سآتي معك)، ويمكن أن تخبره بشعورك. ومن الأخطاء الشائعة في أسلوب التواصل مع الطفل، أنه قد يحضر إلى المربي ليحدثه في أمر ما، فيقوم المربي بترك الطفل يتحدث، وهو منشغل عنه بأشياء أخرى مثل عمل أو تلفون أو حديث آخر، والاستماع المطلوب هو أن نجلس في مستوى نظر الطفل ونصغي إلى حديثه، ويكفي أن نعيد ما قاله الطفل للتأكيد له أننا قد اهتممنا بحديثه، واستمعنا إليه[1].

(١) كيف أجيب عن أسئلة طفلي وأحاوره: أ. د. سلوى مرتضى، ص٢٦ ـ ٢٩.

الحلقة الأولى

عجائب القمر

القمر ليس جسما مضيئا بذاته كالشمس أو النجوم، ولكنه يعكس الضوء الساقط عليه من الشمس، وعند اقترانه بالشمس لا نرى منه شيئا، لان وجهه المنير يكون جهة الشمس ووجهه المظلم يكون جهة الأرض، ويقال له حينئذ إنه في المحاق أو الاجتماع، وعند مفارقته لها يقال له حينئذ هلال، ويميل إلينا جزء صغير من نصفه المضيء نسميه هلالاً، وكل ليلة يتزايد الهلال عرضا بحركته الميلية ويبعد عن الشمس إلى الشرق بنحو ١٣ درجة ما يوازي ٥٢دقيقة وذلك بحركته الذاتية، ويلزم أن يتأخر في غروبه كل ليلة بعد غروب الشمس بهذا المقدار مضافا لكل ليلة ٥٢ دقيقة تقريبا حتى يظهر لنا نصف الجزء المنير في اليوم الثامن بعد ولادته، وفي هذه الحالة يكون بعده عن الشمس ٩٠ درجة أو ثلاثة بروج، ويقال له حينئذ إنه في التربيع الأول، ثم يتقدم القمر في فلكه من الغرب إلى الشرق، فيستمر في تباعده عن الشمس كل يوم ١٣ درجة تقريبا حتى يصل إلى الاستقبال في منتصف الشهر الهلالي وفي هذه الحالة يكون بعده عن الشمس ١٨٠ درجة أو ستة بروج، ويتجه إلينا عند ذلك جزؤه المنير كله ويسمى بدراً، ويقال له حينئذ إنه في الاستقبال، ثم يعاكس التغيرات من التوليد إلى الاستقبال، أي يأخذ الجزء المنير في التناقص، ويتأخر في طلوعه بالمقدار المتقدم كل ليلة حتى يختفي نصف الجزء المنير، وفي هذه الحالة يكون بعده عن الشمس ٢٧٠ درجة أو تسعة بروج، ويقال له حينئذ إنه في التربيع الأخير، لا يزال يتناقص ويتأخر حتى يصير هلالاً يطلع في الشرق قبل طلوع الشمس ثم يغيب الجزء المنير تماماً، ويعود إلى المحاق عند الاقتران وهكذا.

ومدة هذه الدورة ٢٩ يوما و١٢ ساعة و٤٤ دقيقة و٣ ثوانٍ وهي مدة الشهر العربي.

وظهور آثار القمر على الأرض أكثر من غيره وذلك لأنه أقرب الكواكب إلى الأرض فكان التأثير منه أكثر وأولى، وان حركات القمر سريعة وتغيراته قليلة، وأما سائر الكواكب فحركتها بطيئة وتغيرات الأرض كثيرة، فكان إسناد تغيرات الأرض إلى حركات القمر أولى، ثم إن القمر بسبب سرعة حركته يمزج أنوار بعض الكواكب بأنوار الباقي ولا شك أن امتزاجاتها مبادئ لحدوث الحوادث في هذا العالم فكان القمر هو المبدأ القريب.

فمن تأثير القمر على هذا العالم أن أصحاب التجارب قالوا: إن البحار ما يأخذ في الازدياد من حين مفارقة الشمس للقمر إلى وقت الامتلاء، ثم إنها تأخذ في الازدياد بعد الامتلاء، وفي الانتقاص عند شروع نور القمر في النقصان وهكذا دائماً.

ومن البحار ما يحصل فيه المد والجزر في كل يوم وليلة، في طلوع القمر وغروبه، فإذا وصل القمر مشرقاً من مشارق البحر فالمد، ولا يزال كذلك إلى أن يصير القمر وسط السماء في ذلك الموضع فعند ذلك ينتهي المد منتهاه، ثم إذا انحط القمر يشرع البحر في الجزر ويرجع البحر، ولا يزال كذلك راجعا إلى أن يبلغ القمر مغربه فعند ذلك ينتهي الجزر منتهاه، فإذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ابتدأ المد هناك في المرة الثانية ولا يزال زائدا إلى أن يصل القمر وتد الأرض فحينئذ ينتهي المد منتهاه في المرة الثانية، ثم يبتدئ الجزر مرة ثانية ويرجع إلى البحر حتى يبلغ القمر أفق مشرق ذلك الموضع فتعود الحالة الأولى من المد مرة أخرى، وهكذا دائما أبداً، وتكون الأرض مستديرة والبحر محيطاً بها على استدارتها، والقمر يطلع عليها كلها مقدار يوم وليلة، فكلما تحرك القمر صار موضع القمر أفقا لموضع من مواضع البحر وصار ذلك الموضع وسط السماء لموضع آخر ووتد الأرض لموضع آخر، وفيما بين كل وتدين من هذه الأوتاد تظهر حالة أخرى، فلا جرم يحصل بسبب ذلك في البحر أحوال مختلفة مضطربة. ومن تأثير القمر انا نرى أبدان الحيوانات وقت زيارة نور القمر تكون أقوى وأسخن وبعد الامتلاء تكون أضعف وأبرد، وتكون الأخلاط التي في بدن الإنسان مادام نور القمر زائداً زائدة، ويكون ظاهر البدن أكثر رطوبة وحسنا، فإذا نقص ضوء القمر صارت هذه الأخلاط في غور البدن والعروق وازداد ظاهر الجسد يبساً[1].

---

١. عجائب الملكوت: عبد الله الزائد، ص١٩٣. ١٩٥.

يوم المباهلة

بسم الله الرحمن الرحيم

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا
وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ
فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ

صدق الله العلي العظيم

قال أسقف نجران: ((يا معشر النصارى، إني لأرى وجوهاً لو سألوا اللّه أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى نصراني على وجه الارض الى يوم القيامة)).

أنظر هذا القول في: تفسير الرازي ج ٨ ص ٨٥ ط الثالثة؛ تفسير الثعلبي ج ٣ ص ٨٥ ط دار احياء التراث العربي
تفسير البغوي ج ١ ص ٣١٠ ط دار المعرفة؛ تفسير النسفي ج ١ ص ١٥٨؛ تفسير الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٤٣٥ ط سنة ١٩٦٦ م